تاريخ منطقة أولاد ميمون من خلال بعض المصادر الفرنسية

أنموذجاً

أ. بن سيفي عزالدين

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية/ جامعة تلمسان/ الجزائر

تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

The History of Uwlad Maymoon Region Through Some of the French References

«L'expédition de général Cavaignac dan le Sahara algérien» A model

Prof. Ibn Saifi Izel Deen

College of Human and Social Sciences / University of Telmisan/ Algeria

azzedinebensifi@gmail.com

Abstract

History with its intellectual and physical heritage is considered the most important base for our psychological and mental construction. This probably what had linked and is still linking the social members and groups with their past and history. This motivates me as a researcher to explore the history of this region.

الملخص

يشكل التاريخ بمادته الفكرية وموروثه المادي والمعنوي أهم أساس من أسس بنيتنا النفسية والذهنية، ولعل هذا ما ربط ولا زال يربط الأفراد والجماعات بتاريخهم وماضيهم من جهة، وعاداتهم وتقاليدهم من جهة ثانية، علاوة لما تشكله الأرض كجزء لا يتجزأ من هذا الماضي والحاضر، ولارتباطنا الشديد والوثيق بهذه الأرض وتاريخها، فقد دفعنا الوثاق وروح الباحث إلى البحث في تاريخ هذه المنطقة.

لقد قضيت وقتا طويلا وأنا أستجلي أبعاد منطقتي التي ولدت فيها من قمم جبالها إلى تلالها وانبساط سهولها، وعلى ضفاف واديها، أسرني حب هذه القرية وماضيها، وما أقول في قبيلتي ووطني إلا كما قال الشعراء قبلي وأنا لست بأشعر منهم:

و ما أنا إلا من غزيّة إذ غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشد

أو كما قال آخر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وقوم وإن ضنوا عليّ كرام

وأنا غافل بنور هذا الشغف وجدت نفسي وقد أكرمني الله في أن أكون مدعواً مع ثلة من الباحثين للمساهمة في كتابة تاريخ منطقة أولاد ميمون، وعجبت لهذه الصدفة العلمية عجباً كثيرا، فلها قصة طريفة... في حديث مع أحد الأساتذة الذين كنت أدرس عندهم لما كنت طالبا بجامعة وهران، سألني فقال: حدثني عن تاريخ منطقة أولادميمون فإني سمعت أن لها تاريخ عريقاً، حافل بالمحطات التاريخية، وحينها وجدت نفسي عاجزاً محرجاً أمام أستاذي، حيث لازلت أتذكر كم كان متعجباً أمام جهلي بتاريخ المنطقة التي أعود إليها، وقال لي كعادته بشيء من الاختصار جامعاً مانعاً في بيت شعري:

إن قوما جهلوا تاريخهم كلقيط عيّ في الناس انتسابا

في الحقيقة كانت هذه الكلمات كالصفعة التي أحيت فيا روح القبيلة والوطن وشعرت في أعماقي كأني أبحث عن أم، فانكببت على كتب التاريخ مفتشاً وباحثاً عن تاريخ منطقتي ولكن كانت خيبة الأمل عندي تزيد يوما بعد يوم، فكنت كالذي

يبحث عن إبرة في كومة قش، فلا تاريخ البكري[1] ولا مقدمة إبن خلدون[2] ولا كتب المسالك[3] التي لم يسلك أصحابها بوادينا ولا كثرة السؤال في عوام الناس ومثقفيهم عن تاريخ المنطقة، سوى أن المدينة كانت تسمى في عهد الرومان ألتافا ثم لا موريسيار[4] في الفترة الاستعمارية.

ثم شاء الله بعد ذلك أن أصبح دارساً للتاريخ في جامعة تلمسان، فعاد حنين البحث عن الأم يطرق فكري، فبدأت أسأل المختصين الذين أشاروا عليّ بالرجوع إلى بعض المصادر التي اعتنت بالتاريخ المحلي، كحي ابن خلدون صاحب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، والذي حمل في صفحاته شيء لا يروي ظمأ الباحثين عن تاريخ منطقتنا، وابن عودة المزاري في كتابه طلوع سعد السعود في أواخر الفترة الحديثة وابن عبد القادر مسلم في كتابه أنيس الغريب والمسافر، لكن رغم هذه الالتفاتات من أصحاب هذه الاجتهادات إلا أنها لم تذكر المنطقة إلا في حدود جملة أو جملتين.

ثم أشار علي أحد هم أن أرجع إلى الكتابات الفرنسية، فتوجهت إلى مكتبة قسم التاريخ إلى أحد رفوفها المثقلة بالكتب القديمة، حيث وقع نظري على مجلة مشهورة ب «**la revue africaine**»[5] المجلة الإفريقية، وبعد أن وقع اهتمامي على أحد الموضوعات التي كان يكتبها ماك كارتيه[6] وماك ماهون[7] عن تاريخ منطقة تلمسان وضواحيها، كانت دهشتي كبيرة بعد أن وجدت كلاما مستفيضاً عن تاريخ أولاد ميمون[8]، فإذا كانت هذه الأخيرة قد درست بعناية واهتمام بأبعادها المختلفة الأثرية والتاريخية والاجتماعية من طرف الكتاب والعسكريين والمؤرخين الفرنسيين على اختلاف توجهاتهم البحثية والعلمية، فإنها لم تلقى ذلك الاهتمام والعناية من الأقلام العربية باستثناء ما أورده بعض الكتاب من استثارات متفرقة عنها في ثنايا كتاباتهم سواءً المنوغرافية الحديثة العهد حول المنطقة، أو القديمة ككتب الرحالة والنسابة وغيرهم من المؤرخين القدامى، الذين أرّخوا لتاريخ المنطقة التلمسانية ككل، وهذا جدل تاريخي مستفيض حول هذين النوعين من الكتابات لا حاجة لنا أن نتطرق إليه في هذا الموضوع.

1 ـ أبو عبيد البكري هو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، جغرافي وموسوعي وأديب أندلسي، ولد في ولية قرب اشبيلية حوالي عام 1030م وتوفي في قرطبة عام 1094م اشتهر في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس وبلاد المغرب له كتاب في جغرافية المغرب والأندلس.

2 ـ عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي، تونسي المولد أندلسي الأصل، ولد سنة 1332 م نال حظا كثيرا من العلم ما أهله أن يكون فريد زمانه ونال حظا من السلطان فقد أكرمه بنو حفص وبنو زيان وبنو مرين بأرقى الوظائف في دولهم ومماليكهم ولكنه طلق السياسة وعكف على الكتابة وتدوين التاريخ.

3 ـ شاع هذا النوع من الكتابات الجغرافية عند الرحالة العرب ومعنى المسالك أي الطرق والممرات التي كان يسلكها التجار وطلبة العلم والحجاج والمسافرين .

4 ـ هو الجنرال لويس ليون لاموريسيار، ولد سنة 1802 م، ضابط عسكري ورجل سياسة عين بعد نزوله الجزائر قائد عمالة وهران، ثم وزيراً للحرب سنة 1848 م ارتبط اسمه بتسليم الأمير عبد القادر في ديسمبر من سنة 1847م، توفي سنة 1865م، ولما صادفت وفاته مناسبة تأسيس مدينة أولاديمون حسب قرار نابليون سميت هذه الأخيرة باسمه .

5 ـ مجلة تعنى بالبحوث التاريخية والتراثية المتعلقة بالجزائر والبلدان المجاورة لها، وكانت تنشر أبحاث ثلة من المستشرقين الفرنسيين وغيرهم، وأبحاث أعلام جزائريين كالأستاذ المحقق محمد بن شنب وغيرهم، صدر أول عدد لها سنة 1849 م.

6- mac carthy من أبرز المؤرخين والأثريين الفرنسيين الذين اهتموا بدراسة منطقة أولاديمون، زار المنطقة في كثير من المناسبات ولعل أولها كانت سنة 1848 م، ساهم في نشر العديد من المقالات في المجلة الإفريقية.

7 ـ مؤرخ وعسكري فرنسي برتبة كولونيل عين مسؤولاً على المكتب العربي في تلمسان كان له اهتمام بتاريخ المنطقة حيث كانت تنشر أعماله في المجلة الإفريقية.

8 ـ صدر في أول عدد من المجلة الإفريقية السالفة الذكر مقال طويل عن المواقع الأثرية الرومانية في منطقة تلمسان recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains subdivision de tlemsên وأخذ موقع آلتافا حصة الأسد، المقال كتب من طرف ماك كارتي.

ومن الكتابات التي وقع اهتمامنا عليه لدراسة تاريخ المنطقة كتاب أو رحلة الجنرال كافينياك:

« **L'expédition de général Cavaignac dan le Sahara algérien** » في أفريل 1847

1/ التعريف بالكتاب أو الرحلة:

صدر هذا الكتاب بباريس سنة 1849 م لصاحبه الدكتور فيلكس جاكوت تحت عنوان رحلة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، حيث يظهر من خلال مقدمة الكتاب أن المؤلف استعانة بمذكرات الكولونيل كافينياك لكتابة هذه الرحلة، ورغم أننا لا نتوفر على النسخة الحقيقية للكتاب، إلا أنه من الواضح من خلال النسخة الرقمية فإن الكتاب متوسط الحجم مجلد عدد صفحاته 360 صفحة كتب باللغة الفرنسية.

2/ التعريف بالجنرال كافينياك:

هو أوجين كافينياك أحد أبرز الأسماء العسكرية والسياسية في تاريخ فرنسا الاستعماري ولد سنة 1802 م بباريس تخرج برتبة نقيب من المدرسة الحربية للمدفعية، وحتى لا أعطي لهذا العسكري أكثر مما يستحقه، سوى أنه من الضباط الفرنسيين الذين نزلوا باكراً في الجزائر بعد الحملة الفرنسية الناجحة على العاصمة، ورغم أننا لا نتوفر على تاريخ نزوله بالجزائر إلا أننا لا نستبعد أن يكون قدومه مع مجيء فرقة جيش إفريقيا بقيادة الجنرال كلوزيل، ولا نستبعد أيضا أن يكون الكولونيل كافينياك كان من المقربين إلى الماريشال بيجو حيث خاض إلى جانبه الكثير من المعارك الحاسمة ضد الأمير على غرار سكاك وإيسلي كما أسندت إليه مهمة احتلال تلمسان سنة 1836م.

3/ تاريخ منطقة أولادميمون من خلال رحلة الجنرال كافينياك:

قبل الاستطراد في ثنايا هذا البحث، رأيت أن أضع إطاراً جغرافيا دقيقا للمنطقة محل الدراسة:

رغم أننا لا نتوفر على معلومات كافية عن هذا المجال الجغرافي إلا أنه وحسب ما تذكره بعض المصادر الفرنسية خاصة كتاب:

« Tableau de la situation des établissements français dan l'Algérie »

فإن المنطقة هي امتداد طبيعي واسع تبعد عن تلمسان باتجاه الشرق 30 كلم ذات موقع جغرافي متميز، تنحصر منطقة أولادميمون بين واد الشولي غربا ووادي سيدي أحمد الراجع شرقا وأرض قبائل آنقاد وبني ورياش جنوبا وأرض قبائل بني وعزان وأولاد العبدلي شمالا، وتتميز المنطقة بسهولها الواسعة وخصوبة أراضيها ووفرة المياه والعيون، فمن الأسماء البربرية المنتشرة في المنطقة على غرار إفري ويافرة[1] نستنتج أن المنطقة كانت بها عيون كثيرة ومن العيون المشهورة في المنطقة عين يسر المنبع الرئيسي لواد يسر وعين بنت السلطان، كما يعتبر واد يسر الذي يشق مجالها الجغرافي نصفين من أهم المجاري المائية في المنطقة، ومن الملامح التضاريسية للمنطقة الجبال، فهي تستند على سفوح سلسلة الأطلس التلي، ومن أسماء الجبال المشهورة في المنطقة جبل بوعيمر والذي نرجح أن يكون اسمه نسبة إلى قبائل بنو عامر[2] وجبل تافرنت ومييز وكسكاس وعساس ودار الشيخ وجبل المعادن.

3/ الملامح الاجتماعية والتاريخية والأثرية للمنطقة في رحلة كافينياك:

طغى على الكتاب أو الرحلة الأسلوب الوصفي باعتباره الأسلوب الأنسب في مثل هذا النوع من الكتابات، بالإضافة إلى الأسلوب القصصي الذي استعان به المؤلف في رواية بعض الحكايات والقصص عن تاريخ المنطقة وسكانها، فهي تمد القارئ بالكثير من المعطيات التاريخية والاجتماعية والأثرية والثقافية عن منطقتنا محل الدراسة، وعلاوة على ما سبق ذكره

9- يافرة جمع إفرن وإفري ومعناها المنبع في لغة البربر أو الكهوف.

10 - قبائل بني عامر: وهي مجموعة من القبائل تنحدر من:عامر بن زغبة بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر فهم عرب من بني هلال أنزلهم السلطان الزياني بلاده وإقتطع لهم أراضي واسعة شرق مملكته، ولعل الحد الفاصل لهم غربا هذا الجبل.

فالمذكرة من الناحية العلمية الموضوعية هي دراسة أنتربولوجية وأثنوغرافية وطبوغرافية لمنطقة الجنوب الغربي لعمالة وهران، والتي من خلالها ومن خلال هذا النوع من الكتابات يتمكن الفرنسيين من معرفة تركيبة المجتمع الجزائري. حتى نكون أكثر منهجية في تقديم هذا العمل المتواضع رأيت أن أرتب هذه المعطيات على حسب مجالاتها العلمية.

أ/ الجانب التاريخي:

ما من شك عندنا ونحن كمتخصصين في أن اهتمام الفرنسيين بكتابة تاريخ الجزائر عامة والتاريخ الجهوي المنوغرافي خاصة، في هذه الفترة، أن الفرنسيين كانوا عازمين كل العزم في إلحاق هذه الأرض وتاريخها بتاريخ الحضارة الغربية، فنراهم يمجدون كل ما هو روماني ويفتشون عليه ويحرصون على تدوينه ويطمسون ويخفون كل ما هو إلى الحضارة المشرقية أو المحلية، وهذا ما لمسناه عند صاحب هذه الرحلة، ولكن رغم هذا فلم تخلو الرحلة من معطيات تاريخية موضوعية، استدعتنا إلى الوقوف عندها:

- فمن الأمور التي وقف عندها صاحب الرحلة الاستكشافية أن المنطقة خضعت للسيطرة الرومانية فترة طويلة ولكن لم يحدد إطارها الزماني بدقة وساد في اعتقاده أنها كانت مدينة أو محمية عسكرية سيطرت على المناطق المجاورة لها وحسب الدراسات التاريخية والأثرية التي أجراها ماك كارتيه فإن ما ذكره كافينياك صحيح في هذا الباب[1].
- رغم أن المؤلف لم يصرح بهذا في كتابه إلا أننا وبعد الإطلاع على بعض المصادر الأخرى تبين لنا أن صاحب الرحلة الاستكشافية في الحقيقة كان على رأس جيش كبير يحتوي على عشرات الكتائب، والهدف من وراء هذه الحملة هو ضرب حصار على الأمير المرابط على الحدود المغربية، ومراقبة القبائل المساندة له، خاصة قبيلة بني عامر القوية[2].
- من الأمور التاريخية التي دونها صاحب الرحلة، المجزرة الرهيبة التي تعرضت لها قبائل المنطقة في المغرب، بعد أن هاجرت هذه الأخيرة لمساندة الأمير وخوفا من الفرنسيين حيث يروي كفينياك حيثيات هذه الفاجعة قائلا: "... لقد هاجرت قبيلة بني عامر إلى المغرب للحاق بالأمير، لكنها لم تلقى إلا البؤس والمآسي، فبعد أشهر عدنا إلى عين تالوت وهذا بعد قليل من استسلام الأمير، حيث علمنا إن القبيلة تعرضت للإبادة في المغرب، وذلك خوفا من قوتها، القلة القليلة من الناجين، لقيناهم وآثار التعب والجوع بادية على أجسادهم الملطخة بالدماء ونساؤهم شبه عاريات... رجعوا إلى مواطنهم الأولى فلم يلقوا الخيرات التي كانوا قد تركوها قبل مغادرتهم..." [3]
- أمر أخر غاية في الأهمية يذكره كفينياك عن اسم المنطقة في العهد الروماني فلم يسميها ألتافا ولا أولاد ميمون، بل ذكرها باسم تاساكورا **tasaccora** [4] و لعل الأمر اختلط على الجنرال باعتباره أول من وصل إلى المنطقة من الفرنسيين، حيث كان في اعتقاده أنها تاساكورا وذلك استنادا إلى أحد الجغرافيين المسمى إيزل، لكن بعد الدراسات التي قام بها كل من ماك كارتيه وباتاي حول المدينة الأثرية أثبتوا أن اسم المدينة هو ألتافا مستدلين في ذلك بما ذكره الجغرافي الشهير أليكساندر بطليموس، والذي حدد في كتاباته وجود مدينة رومانية تسمى ألتوا "**Altaoua**" أو أتوا "**Atoa**" حيث يذكر بطليموس أنها موجودة إلى الجنوب من سيقا في موريتانيا القيصرية.

1 - O. MAC carthy: « **recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains subdivision de tlemsên** », Revue Africaine, t1 ,o.p.u ,Alger, 1856 , pp 96 97 98.

12 ـ للمزيد حول الموضوع ينظر:شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 239.

3 - FELIX Jacquot: « **L'expédition de général Cavaignac dan le Sahara algérien** » éd , Gide et j. Baudry libraires , Paris, 1849.

4 -FELIX Jacquot: op, cit, p.20.

ب/ الجانب الاجتماعي: استطعنا من خلال هذه الرحلة الاستكشافية التي كتبها الجنرال كفينياك في منتصف القرن التاسع عشر أن نرسم ولو صورة بسيطة عن الواقع الاجتماعي للمنطقة محل الدراسة، حيث يتضح من خلال ما قدمه كفينياك أن منطقة أولاد ميمون كانت عامرة بالسكان في تجمعات قبلية يعيش أغلبهم في خيام والقليل منهم في بيوت، بعض القبائل ولم يسمها كانت تبني خيامها على شكل دائري وكل دائرة تحتوي على ثماني أو عشرة خيام، ومن خلال رحلة كفينياك دائماً ميزنا أن المنطقة تواجدت بها قبيلتين كبيرتين احدهما سماها قبيلة بني عامر ولعله يقصد أولاد ميمون والثانية بني صميل وهذه معروفة عندنا ولازالت تسمى إلى اليوم بهذا الاسم.

واستطعنا كذلك من خلال الرحلة أن نستخلص نوع النشاط الممارس من طرف السكان، وخلصنا إلى ما يلي:

- لقد مارس سكان الجهة الغربية الزراعة ولكنهم لم يكونوا بأحسن حال بل وصفهم كفينياك بالفقراء ويظهر هذا في قوله وكان متعجباً "...رغم ما يملكون من أراضي إلا أنهم لا يستغلونها أحسن استغلال..."[1] ولا ندري من كلام كفينياك ما يقصد.
- أما نشاط سكان المنطقة الوسطى فاعتمدوا على زراعة الأشجار وهذا ما نلمسه في قوله:"... دخلنا حقلاً من الزيتون وبعده بدت لنا الضفة اليسرى لواد يسر..."[2] ولا يزيد كفينياك في ذكر نشاطهم شيء ولا حالتهم الاجتماعية.
- أما نشاط الجهة الشرقية واقصد عين تالوت فقد أطال كفينياك في وصف حالتهم الاجتماعية فقال: "... كان لديهم الكثير من القطعان.. ولديهم الكثير من الغلال والاحتياطي في المطامير ولديهم بساتين يسقونها من العين. كانت نسائهم يلبسن أساور من الفضة الغليظة في الأيدي والأرجل. والرجال يتسابقون على الجياد ذات السروج المطرزة ويحملون البنادق، توحي حركتهم بالقوة والشجاعة ولكن الأمر لم يبقى على هذه الحالة كما سبق وان ذكرت بل تهدم كل شيء وتفرقت القبيلة..."[3]

ومما سبق نستنتج أن البنية الاجتماعية تأثرت كثيرا بالتواجد الفرنسي في المنطقة وهذا راجع إلى ثلاث نقاط رئيسة:

1. الهجرة الجماعية للسكان والتي سبق وان ذكرها صاحب الرحلة.
2. المجزرة التي تعرض لها المهاجرون.
3. الدمار الذي لقيه العائدون وهذا ما نلمس منه اعتماد سياسة الأرض المحروقة من طرف الفرنسيين.

ج/ الجانب الأركيولوجي:

لقد أخذ هذا الجانب حصة وافرة في رحلة كفينياك وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما كنا قد سبق وأن أشرنا إليه في أن مؤرخو هذه الفترة والذين يطلق عليهم المختصين لقب المؤرخين العسكريين [4]كانوا لا يتوانون في إعادة الاعتبار للآثار الرومانية ليس لتسجيلها وحمايتها وإنما لربط تاريخ الجزائر عامة والمناطق التي شهدت إعماراً رومانيا بالحضارة الغربية.

و مما استقيناه من معطيات أركيولوجية في رحلة كافينياك الاستكشافية خاصة إذا علمنا أنه أول أجنبي وصل المنطقة في هذه الفترة، حيث يعطي الجنرال كافينياك وصفاً دقيقاً لحالة الموقع الأثري على عذريته الأولى، أي قبل أن يتعرض للتخريب من طرف المعمرين خاصة الذين استعملوا أنقاذ المدينة الأثرية في بناء المدينة الجديدة أولادميمون، وحسب ما جاء في كتاب الجنرال كافينياك فإن أول ما يلفت الانتباه عند الوصول إلى حجر الروم[5]، ذلك الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة، وهذا حسب قوله ما دفع الرومان إلى بناء هذه القاعدة، فالماء والمناعة الطبيعية جعلت الرومان يتخذون من هذا الموقع المتميز موقع لبناء هذه القلعة، ويضيف كفينياك دائما أن اختيار موقع المدينة كان فيه الكثير من الذكاء والفطنة، فعلى هضبة ذات علو

1 -ibid.p.19.
2 -ibid.p.20.
3 -ibid.p.24.
18 ـ للمزيد في الموضوع ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 14، 15، 16.
19 ـ حجر الروم أو حجر الرومي les pierres des Romains هو الاسم الذي عرفت به منطقة أولادميمون في الفترة الوسيطة والحديثة ومن الراجح أن الاسم أطلق على الموقع الأثري في أعقاب الفتح الإسلامي للمنطقة، حوالي سنة 70ه

مناسب لمراقبة السهول الواسعة، ووفرة المياه أقام الرومان هذه المحمية، والتي لم يبقى منها إلا مجموعة من الأنقاذ، فالحجارة المصقولة بدقة والمصفوفة تملئ المكان[1]، يوجد منها الكثير مغروسة في الأرض وتعلو فوقها بمترين متراصة في أشكال تشبه التوائم ولعلها مداخل أبواب أو ما شابه وبهذا نكون قد فسرنا اسم المنطقة فالسكان المحليون يطلقون عليها اسم حجر الرومان ونحن لا نستبعد أن هذا الاسم أطلق على المنطقة في الفترة الوسيطة، كما ويذكر كفينياك أن هذا النوع من الحجارة يوجد في بعض المواقع الأثرية كموقع أغبال (جنوب وهران) ولكن لا تشبهها في الإتقان.

ودائما في وصف الموقع الأثري يقول كفينياك أن الحجارة كانت مغروسة في الأرض وهذا ما يفسر بقائها واقفة طوال هذه الفترة المعتبرة من الزمن، ومن الإنقاذ التي تم التعرف عليها حائط ضخم بني هو الأخر بنفس النوع من الحجارة المصقولة يدوياً، حيث يقول وعثرنا على زوايا وأساسات [2]، ولكن الشيء الذي لم نفهمه ولم يلقى له تفسير كيف لهذه الأساسات القوية والحيطان العملاقة والمبنية بهذا النوع من الأحجار المنحوتة بطريقة متقنة أن تتهدم بهذا الشكل، حيث لم يستبعد أن تكون تهدمت بفعل عنف المعارك ولكنه لم يذكر أطراف هذه المعارك، ويضيف كافينباك قائلاً: "... من بين كل هذه المباني المهدمة ميزنا واحدة تبدو أكثر جمالا يطلق عليها السكان المحليون دار الجنرال..." ويبدو من خلال المواصفات التي يذكرها كافينياك فإن المقصود بدار الجنرال هي القصبة ذلك الموقع الأثري الموجود أسفل منحدرات سيدي عديش.

كما يذكر كفينياك أنهم عثروا على بعض التسجيلات الرومانية المقيدة على شواهد القبور وعلى جدران المدينة ومن أغرب الشواهد حسب كافينياك، مسجلة حملت الأحرف الثلاثة: S P Q R والتي تعني Senatus Populusque Romans "مجلس شيوخ روما " وهذا النص أو الشعار كان نادر الاستعمال في شمال إفريقيا، فلم يستعمله الرومان إلا في مواقع قليلة كشرشال، كما تم العثور أيضا على الكثير من شواهد قبور وتسجيلات التي تعود إلى الفترة الرومانية[3]، وفي ختام هذا الجانب الأركيولوجي والذي سبق وأن قلنا أنه أخذ حصة الأسد في وصف كافينياك التاريخي لمنطقة أولادميمون، أوجه دعوة إلى كل الباحثين في حقل الآثار والمهتمين بآثار المدينة التاريخية ألتافا، أن يطلعوا على هذه الكتاب فهو يحتوي على الكثير من المعطيات الأثرية.

خاتمـــــة

ومما يمكن أن ننهي به هذا البحث جملة من الاستنتاجات والتي رأينا أن نوردها كما يلي:

أولا: من خلال هذا البحث المتواضع نستنتج وكما سبق وأن أسلفنا عند تقديم هذا البحث وهو ذلك الاهتمام المفرط من طرف الفرنسيين في كتابة تاريخ المنطقة مقابل ندرة ما كتب عنها من طرف الكتاب المحليين والعرب.

ثانيا: عراقة وأصالة تاريخ المنطقة فهي ذات تاريخ حافل لكن هذا التاريخ يبقى حقلاً غير معروف يستوجب البحث فيه للكشف عنه.

ثالثا: الدور الريادي الذي لعبه سكان المنطقة في الدفاع عن الوطن تحت لواء الأمير عبد القادر.

رابعا: الواقع الاجتماعي المتباين لسكان المنطقة في ظل الهيمنة الاستعمارية خاصة بعد حوالي 17 سنة من الاحتلال.

خامسا: تأثر البنية الاجتماعية لسكان المنطقة خاصة بعد هجرة الكثير من ساكنتها إلى المغرب لحقا بالأمير علاوة إلى ما تعرضوا له من مصائب بعد هجرتهم.

---

20 ـ كانت هذه الحجارة المصقولة يدوياً متواجدة بكثرة والتي يصفها كافينياك بالمتقنة الصنع، إرتفاعها مترين وعرضها متر، إلى وقت ليس ببعيد كنا نجدها على حواف الطرق، خاصة طريق سبدو حيث كانت هناك واحدة قرب مطاحن الرياض، وبعد أشغال الجسر الجديد الرابط بين حي سيدي الزواوي وطريق سبدو إختفت هذه القطعة الأثرية.

FELIX Jacquot: op , cit , p 20. -2

22 ـ للمزيد في موضوع تسجيلات وشواهد الكتابات الرومانية في الموقع الأثري ألتافا ينظر: المقال الذي نشره ماك كارتي في المجلة الافريقية تحت عنوان: les inscriptions du rubrae العدد الرابع، سنة 1860.